(ترجمة)

BUNDESPRÄSIDIALAMT

ديوان الرئيس الاتحادي الألماني

الكلمة على صفحة الانترنت:
www.bundespraesident.de

كلمة رئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية فرانك-فالتر شتاينماير

في أمسية حول الوطن مصاحبة بإسهامات من مجالات الموسيقى والأدب والمسرح والأفلام

يوم 6 فبراير/ شباط 2020 في قصر بيلفو، المقر الرسمي لرئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية

لربما تعجب البعض منكم قليلاً حين تلقى الدعوة للقدوم إلى هنا من أجل حضور لأمسية اليوم. فموضوعنا اليوم يتمحور حول كلمة ألمانية بامتياز: Heimat أي الوطن. أعدكم بأننا لن نخوض اليوم غمار شعارات أو همسات وطنية رومنسية.

الوطن، هذه الكلمة الألمانية الأصيلة، التي لا تعرفها الكثير من اللغات في أوروبا، إنها متلألئة وعسيرة على الإدراك. وأولئك الذين بحثوا في هذا الموضوع يعرفون جيداً أن مصطلح "الوطن" قد لاقى رواجاً كبيراً مراراً وتكراراً على مر العصور في التاريخ الألماني حتى بدا وكأنه قد وُصم بالعار مرة وإلى الأبد. كان "الوطن" بالنسبة للكاتب الألماني مارتين فالزر "أجمل مصطلح للتعبير عن حالة التخلف". أما بالنسبة للمخرج إدغار رايتس والذي ندين له بالشكر على سلسلة الأفلام المحلمية "هايمات" (Heimat - الوطن)، وذلك في وقت لم يكن موضوع الوطن رائجاً فيه بعد، فقد وصف الوطن على أنه مصطلحٌ يكتنفه الحنين وساحةُ وغى تتضارب فيها المشاعر. وبالمناسبة، فقد عُرض الفيلم الأكثر شهرة من السلسة، والذي يعرفه الكثيرون منكم، بعنوانه الألماني الأصلي "Heimat" في كل أرجاء العالم. أما المخرج فاتح أكين فيصنّف الوطن على أنه بالأحرى حالة ذهنية. على حد تعبير الكاتب تيودور فونتانه، فإن الوطن حقل شاسع.

إن مصطلح الوطن يشهد إعادة إحياء اليوم. فقد نُشرت كتب حول هذا المصطلح وباتت الأفلام تتناول هذا الموضوع وليدنا الآن وزير للشؤون المحلية. وإنني مقتنع كل الاقتناع: إن من يحنّ إلى وطن، ليس شخصاً قديم الطراز بتاتاً. كلا على العكس تماماً، فالوطن هو مفهوم إيجابي يمكن أن يعزز التكاتف والتلاحم وقادر على صقل مستقبل مشترك. ولهذا السبب بالضبط، قمت بُعيد الانتخابات البرلمانية الاتحادية الأخيرة، وهي انتخابات قد أفشت عن صدوع سحيقة في المجتمع، بوضع هذا المصطلح في بؤرة تركيز خطابي بمناسبة يوم الوحدة الألمانية. ويا أسفاه، فإنني ألاحظ أن الوطن قد أضحى مجدداً مصطلحاً للتنازع السياسي.

لذلك أريد في مستهل هذه الأمسية أن أطرح السؤال مجدداً: ما هو الوطن؟ هل هو مكان الطفولة المأنوس المرتبط بوشائج وثيقة مع الأشخاص والروائح والمناظر الطبيعية والطعام واللهجة المحلية؟ أم هو المكان الذي نعيش فيه ونكون فيه بديارنا؟ هل هو اللغة؟ هل الوطن فئة سياسية أم هو شعور؟ هل الوطن يحيا فقط في الذكريات؟ وهل يستطيع الإنسان أن يكون له وطن واحد فقط؟

لقد تعلم كثيرون منكم أن كلمة Heimat الألمانية أي الوطن أصبحت كتابتها بطرق مختلفة شائعة في أيامنا هذه: مع ai أو ey أو ay. تمزج كلمة Haymat بين لفظتنا الألمانية Heimat واللفظة التركية hayat التي تعني الحياة، وهذا هو عنوان كتاب لكريستينا وفيرات كارا، وقد قرأته باهتمام كبير. يسعدني كثيراً أن أرحب بهما هنا ترحيباً حاراً اليوم.

ساعات تجتاحني
غصة في وجداني.

وخزات الحنين تعتريني.
ولكن إلامَ... ما أدراني

كتبت الأديبة ماشا كاليكو في قصيدتها "مناجاة المهاجرين" عن الحنين إلى الوطن (Heimweh)، وتعتبر هذه الكلمة أيضاً مصطلح ألماني بامتياز. ولكنها كتبت أكثر ما كتبت عن تجارب أليمة ووجودية: ألا وهي فقدان الوطن وفقدان اللغة. "ليست لكلماتي الألمانية أي طفولة"، هكذا وصفت هذه الحالة الأديبةُ أمينة سفيغي أوزدمار. أرحب بها هي أيضاً ترحيباً حاراً اليوم!

غالباً ما يدرك المرء ماهية الوطن حين يغترب عنه، أو حين يُسلَب وطنه منه. وهذه تجربة قديمة وعمرها من عمر الإنسانية. ولكن لطالما وجد البشر موطناً جديداً لهم في أماكن أخرى. وهذه التجربة يعرفها أيضاً حق المعرفة عدد كبير من المتواجدين هنا.

يتمتع الأشخاص اليوم بحركية هائلة لا مثيل لها في الماضي. ولكن كثيرين يعتبرون أن العالم مكان غريب وموحش على الدوام، وكثيرين يشعرون بالارتباك بسبب وتيرة العولمة والرقمنة. وهذا ما قد يوقظ الشعور باللهفة والحنين إلى الوطن مجدداً، والحنين إلى الاستقرار والترسخ بشكل أقوى في المكان الذي نألفه، في المكان الذي نشعر فيه بالأمان الروحي. قال الفيلسوف كارل ياسبرس "الوطن هو المكان الذي أفهم وأُفهَم فيه". أن نفهم وأن نُفهَم، هذا ما يرغب فيه كل مرء في بلدنا، ولهم الحق في ذلك! أولئك الذين يعيشون هنا منذ أجيال وفي نفس الوقت أولئك القادمون الجدد.

بيد أن يفهم المرء وأن يكون مفهوماً، فهو أمر يتطلب شيء واحد وهو: التفاهم. وأرى من المشجع جداً أن الأغلبية في بلدنا يدركون الوطن على أنه موضوع يجمعنا ولا يفرّقنا. ولذلك: فلّا نترك الوطن بأيدي أولئك الذين يسيئون استخدام هذا المصطلح من أجل إقصاء الآخرين وتحريض "النحن" على "الهُم"، أي بمعنى الآخرين والتفريق وزرع بذور الكراهية والخصام!

يعيش في ألمانيا كثيرون ممن فقدوا الوطن منذ 75 عاماً، وكثيرون ممن عثروا على وطن جديد منذ أوائل الستينات، وكثيرون ممن أتوا كلاجئين في الأعوام الأخيرة. وهذا قد غيّر المجتمع الألماني. نعم، لقد خُضنا نقاشاً محتدماً في الأعوام الأخيرة حول سؤال من هم الأشخاص المرحّب بهم في بلدنا وكيف يمكن إنجاح الاندماج. ونعم، إن هذه النقاشات مرهقة بلا شك ولكنها ضرورية لديمقراطية حية طالما أننا نخوضها بأدب واحترام. بل يتوجب علينا خوضها لأن لا الهجرة عملية أحادية الجانب ولا المجتمع كيان جامد.

إن الهجرة والاندماج يتطلبان على حد سواء من كل منا مساهمة معينة. من أولئك القادمين الجدد وأولئك الذين يعيشون هنا منذ أجيال خلت. والاندماج لا ينجح نجاحاً أكبر إذا تكلمنا عنه بشكل أقل. فالعكس صحيح.

علينا جميعاً أن نخطو خطوة تجاه الآخر. علينا أن نتقبّل أننا مختلفون، وفي بعض الأحيان مختلفون جداً، وأننا آتون من بلدان مختلفة، وأن لكل منا خطة حياة ودينياً وتأثيرات مختلفة صقلت شخصيته. علينا جميعاً أن نراعي بعضنا البعض. علينا أن نحترم ما تم إضافته، ولكن أيضاً ما كان موجوداً من قبل! ولا يتوجب علينا أن نختلي بأنفسنا أكثر فأكثر في عوالمنا الخاصة أو كما نقول باللغة الألمانية الحديثة: في الغرف الصدوية الخاصة بنا!

والحق يقال إن مصطلح "الاندماج" يكاد لا يحيط بواقعنا من كل جوانبه. بأي حال، لا ينقل المصطلح الواقع إذا كان المقصود به الانصياع التام للتماثل الثقافي. والحق إن معنى "ألماني" وماهية "ألمانيا" قد تغيّرا بالفعل. فإننا اليوم ألمانيا ذات الثقافات المتعددة، ألمانيا ذات الثقافات الناشئة الجديدة، وهذا بالضبط ما نريد أن نكونه!

، لذلك فقط من خلال التعاون والتشارك يسعنا أن نخلق مكاناً، أي نخلق ذلك الوطن الذي يمكننا أن نعيش ونتعايش فيه جميعاً وفقاً لمبدأ الحرية وللقيم التي ينص عليها قانوننا الأساسي. ذلك الوطن الذي نفهم فيه بعضنا البعض ونكون أيضاً

مفهومين بالرغم من كل الاختلافات. إن مكاناً مماثلاً يتطلب الكثير من الجهد. نعم، لأنه يتألف من مصائر كثيرة ومتعددة الأوجه والجوانب. ولكن في ظني هذا هو ما يشكل نقاط قوة بلدنا. دعوني أعرب اليوم عن أمنية لدي كرئيس اتحادي: إن قصص ومصائر أولئك الذين أتوا إلينا والذين سوف يأتون إلينا في المستقبل يجب أن تصبح بشكل أبرز جزءاً من كياننا نحن المشترك – مثلما تمنيت هذا الانصهار لمصائر الألمان الشرقيين بعد مرور ثلاثين عاماً على الثورة السلمية وعلى سقوط جدار برلين.

تلك المصائر، مصائركم أنتم، كثيراً بل وللأسف الشديد كثيراً جداً، ما تدور حول التهميش والعنصرية والتمييز في الحياة اليومية، حول الرفض وغياب الاحترام والتقدير الذي قد يصل حتى إلى الجيل الثاني والثالث من المهاجرين. كل هذه الأمور تناولها المؤلفون والمؤلفات في كتاب "Haymat" (الوطن). يقول الأديب برنهارد شلينك: "حين يكون تقدير الآخر مفتقراً ومفقوداً، عندذاك يصبح جلياً أن الوطن يبدأ بتقدير الآخر والانتماء إلى جماعة". لقد حكى لي عن التقدير المفقود جيران ألمان من أصول تركية مقيمون في حي موابيت، وأسمع عن ذلك حيثما أسافر في جميع أنحاء البلد من أبناء وأحفاد المهاجرين. وكثيرون منهم، ومن المتواجدين معنا هنا في القاعة في أمسية اليوم قلقون من ازدياد التمييز والعنصرية. ربما ازداد قلقكم قليلاً في هذه الأيام.

وكيف يمكن ألا يزداد القلق عندما يبدأ سم النزعة القومية في التسلل إلى نقاشاتنا، عندما يحاول البعض جعل الفكر القومي ذي النزعة العرقية مقبولاً اجتماعياً من جديد. وعندما يصبح الإجماع الديمقراطي مهدداً بالانكسار لقاء المعادين للديمقراطية.

إنني أتفهم قلقكم. وأتمنى معكم أن تصبح الأصوات الصائحة ضد الكراهية أكثر ارتفاعاً. وأنتظر مثلي مثلكم أن يدرك البرلمانيون مسؤوليتهم الخاصة تجاه الديمقراطية وتجاه مجتمع يليق بالقيم الإنسانية، خاصة بعد مرور خمسة وسبعين عاماً على نهاية حقبة الحكم النازي. وأتمنى أن يقوم عدد أكبر من الناس بالدفاع عن أولئك الذين يتعرضون للإقصاء أو الظلم أو الإهانة أو الاعتداء.

أود أن أقول لكم اليوم كرئيس اتحادي: أنتم جميعاً تنتمون إلى بلدنا! إن قصصكم ومصائركم تنتمي إلى بلدنا!

تتناهى إلى بالي مصائر أولئك الناس الذي أتوا إلينا فارين من الحرب والخراب. أفكر في مصائر الكثيرين من الشباب الذين أتوا إلينا من أجل العمل أو الدراسة. وأفكر في مصائر أولئك الناس الذين ظللنا لوقت طويل، طويل جداً ننظر إليهم كعمال أجانب مؤقتين ويطلق عليهم تسمية العمال الضيوف، وقد أتوا من إيطاليا وإسبانيا والبرتغال واليونان وتركيا. كلهم ساهموا بشكل كبير وحاسم في تحقيق الرخاء لبلدنا. كلهم و جميع الأبناء والأحفاد قاموا بتغيير مجتمعنا وثقافتنا وموسيقانا وأدبنا ومطبخنا وأنماط حياتنا، أي باختصار قاموا بتغيير وطننا. لقد جعلوا من ألمانيا بلداً أكثر انفتاحاً وأكثر تعددية وأكثر تنوعاً. ولهذا السبب أود أن أتوجه اليوم إليكم جميعاً بجزيل الشكر!

إن مصائركم هي مصيرنا: فهي مصائر أناس يشعرون بالانتماء إلى هنا وذلك منذ أن باتت أجيالاً من الناس يقولون: ألمانيا وطني. وهناك أشخاص ربما يقولون، أحتضن في قلبي وطناً آخر، وهذا الوطن يقع في تركيا وإيطاليا واليونان وروسيا وبولندا وسوريا والعراق وأفغانستان أو الصومال. دعوني أقولها قولاً واحداً بوضوح شديد: كلمة وطن يمكن أيضاً أن تشمل أكثر من مكان واحد.

لذلك أتطلع الآن بكل سرور إلى أمسية حول الوطن استثنائية ومميزة للغاية بحضوركم!

حضرة الضيوف الأعزاء، أود أن أقدم لكم الفنانات والفانين الذين يقوموا بإحياء أمسية اليوم. إنه لمن دواعي سروري أنكم قد أتيتم جميعاً إلينا اليوم.

قد سمعتم فور وصولكم موسيقى قامت باختيارها المنسقة الموسيقية إيبك إيبكتيشوغلو، وسوف تصاحبنا موسيقاها أثناء حفل الاستقبال لاحقاَ. إيبك إيبكتيشوغلو، أنت مقيمة ببرلين وتملئين الصالات حول العالم كمنسقة موسيقية، إنك تعملين أيضاَ ككاتبة ومنتجة وناشطة. من حسن حظنا ومن دواعي سرورنا أن تكوني معنا في أمسية اليوم!

سوف نستمع بعد قليل إلى سيمين ساماواتي وفرقتها الرباعية سيمينولوجي. أنت أيضاً مقيمة ببرلين وتعتبر الموسيقى الخاصة بك تلاقياً بين الشرق والغرب، حيث تنساب كلمات الحكماء الفارسيين على نغمات موسيقى الجاز. فلنتطلع جميعاً إلى الاستمتاع بها! أهلاً وسهلاً بك!

بالإضافة إلى ذلك أود أن أرحب ترحيباً حاراً بضيفنا الموسيقي سلطان تونك المعروف باسم راستا بابا وبفرقته الموسيقية. سلطان تونك العزيز، أنت أيضاً تقوم ببناء الجسور الثقافية عبر الموسيقى، كما نتطلع إلى الاستماع إليه لاحقاُ.

كما يسعدني أيضاً وجودك يا أمينة سيفغي أوزدمار العزيزة معنا اليوم. سوف تقومين بإلقاء النص المحرر بقلمك تحت عنوان "برلين، مدينة الطيور". برلين هي المدينة التي أتيت إليها وأنت في الثامنة عشر من عمرك حيث تقيمين وتعملين فيها حتى اليوم. أرحب بك بحرارة!

سوف نشاهد أيضاً مقاطع من فيلمين معروفين لدى الكثيرين منكم وهما فيلم "أهلا وسهلاً بكم في ألمانيا!" للأختين ياسمين ونسرين سامديريلي. أهلا وسهلاً بكما. وفيلم "مطبخ الروح" للمخرج فاتح أكين – وهو بالمناسبة قريب جداً من نوعية الأفلام التي تدور حول موضوع الوطن.

أهلا وسهلاً بك أنت أيضاً يا ديمتري شاد العزيز. أنت ممثل على خشبة مسرح غوركي وسوف تحكي لما من خلال مقطع من مسرحية "الوضع" قصة عائلتك. أهلاً وسهلاً بك.

كما أتطلع أيضاً إلى الحوار الذي سوف يدور حول موضوع الوطن والذي سوف يقوم بإدارته إيجوما مانغولد، المراسل الصحفي عن المواضيع الثقافية السياسية بجريدة "دي تسايت". السيد مانغولد العزيز، من المدهش حقاً أنك اكتسبت وطناً آخر وهو وطن والدك النيجيري فقط عندما كان عمرك 22 عاماً. يسرني وجودك معنا اليوم!

سوف ينضم إلى هذا الحوار إلى جانب سيمين ساماواتي أيضاً الممثل آدم بوسدوكوس، الذي يعرفه الكثيرون من أفلام المخرج فاتح أكين. أنت أيضاً أديت أحد أدوار البطولة في فيلم "مطبخ الروح". أهلاً وسهلاً بك يا سيد بوسدوكوس العزيز! كما يسرني وجود شخص مميز وهو ليس فقط حائزاً على جوائز، بل هو واحد من أهم المخرجين المسرحيين في ألمانيا. إنني سعيد بوجود إرسان مونداغ.

لقد سمعتم كلماتي في مستهل الأمسية: فإنها حقاً أمسية لكي نستمتع بها معاً جميعاً. أتوجه بالشكر إلى جميع المشاركين فيها! وأتمنى لكم الآن وقتاً ممتعاً!

وشكراَ!